واذ يكتمل الرقم ٩ ويدخل في الرقم ١٠ فان موت اسعد يصبح في خضم الموت الجماعي الذي يميز المرحلة ، وهو يتخذ شكل القبر الواحد بين القبور الثلاثة التي يذكرها ابو الخيزران في الذكرى العاشرة . بقي ان الذكرى الحادية عشرة في اشارتها للموت المشتت والضائع تمثل نمطا آخر لهذا الموت المرحلي : نمط التخلي عن الارض الاصيلة والانخراط النهائي في أراضي الغير ، ذوبان الشخصية الفلسطينية في الانظمة العربية بما يعني نهايتها واندثارها . (*)

بناء لكل ما سبق ، يصبح بامكاننا ان نفهم لماذا تحاول الارقام المطمئنة في النص ان تبقى دون تلك الخطرة التي درسنا ميزاتها . فعندما يسأل أسعد سمسار البصرة السمين ان كان سيمشي كثيرا مع دليل مجموعة المسافرين بالتهريب يجيبه : « ست او سبع ساعات فقط .. » (ص ٦٠) ورغم الخطر الذي يوميء اليه الرقم ٧ هنا ، فانه ليس بذي شأن كبير ، وفي كل الاحوال ليس مميتا ، بالنسبة لاسعد ، كما يشير النص الى ذلك في مكان آخر حيث يقول السمسار ذاته لاسعد : « ... طبعا عليك ان تمشي قليلا ولكنك فتى في غاية القوة ، لن يضيرك هذا » . (٥٨)

وكنا قد أشرنا سابقا الى ان ابا الخيزران في محاولته طمأنة محاوريه الفلسطينيين الثلاثة اثناء التفاوض معهم يقول لهم حرفيا : .. « ستنزلون الى الخزان قبل نقطة الحدود في صفوان بخمسين مترا ، سأقف على الحدود أقل من خمس دقائق ، بعد الحدود بخمسين مترا ستصعدون الى فوق .. وفي المطلاع على حدود الكويت ، سنكرر المسرحية لخمس دقائق اخرى ، ثم هوب ! ستجدون انفسكم في الكويت ! » (ص ٩٨) فيبدو ليس فقط مقنعا بل باعثا على الثقة والاطمئنان اكثر من ذاك السمسار (الـ ٥ افضل من ٦ و ٧) وهذا ما دفع بالمسافرين الى الاتفاق معه وتفضيله على هذا الاخير (من يملك بينهم على الاقل القدرة على الاختيار ، ومن هذه الزاوية البنيوية للرؤية) فكل النقاش الذي يتم لا يتطرق ابدا الى هذه « المسرحية » التي سيقومون « بتمثيلها » تلك التي سيعيشونها ـ سيموتون فيها . كذلك لا احد منهم يناقشه حين يعلن رقما جديدا قبل ان ينزلوا في الخزان لاول مرة ، مؤكدا لهم بأن وجودهم فيه سيكون « لخمس دقائق او سبع ـ بل هناك شك بأن يكون احدهم قد تنبه الى هذا التغيير الذي يحمل في طياته خطر الموت باكتمال الدقائق السبع » (٧) . الا ان الامر يختلف اثر التجربة التي يخوضونها عند اجتياز الحدود العراقية في صفوان ، حين يتمحور النقاش حول عدد الدقائق التي استغرقها عبور هذه الحدود كما بينا سابقا ، ويبقى هذا العدد (٧) دون الاكتمال ، وخطره القاتل مستبعدا . وهذا بالتحديد ما يحاول ابو الخيزران مجددا ان يوصي به في العملية الثانية (اجتياز الحدود الكويتية عند المطلاع) حين يتوجه الى هؤلاء المسافرين الثلاثة مؤكدا : « .. احسبوا .. سبع دقائق على الاكثر وافتح لكم الباب .. » (١٣٣) وحين يسأله ابو قيس مستزيدا من الاطمئنان : « سبع دقائق ؟ » يسارع الى اجابته : « على الاكثر ! » (١٣٤) . وكان لتوه قد أعلن متوجها الى مروان : « هل انت خائف الى

(*) لن نتأخر في تأكيد هذا الوجه الآخر للموت المرحلي المرتبة بالانظمة من زاوية اخرى ، عبر البنية الزمانية ـ المكانية لعملية عبور حدود الكويت لاحقا ...